# الوقف العلمي بالمغرب الأقصى ودوره في تأسيس المدارس خلال القرن 8هـ/14م (أوقاف مدينة فاس نموذجا).

أ. د إبراهيم القادري بوتشيش/د. السعيد لمليح*‡

شكل الوقف العلمي في معظم حقب التاريخ المغربي والإسلامي بصفة عامة قاعدة للنهضة العلمية، وأداة لانتشار المعرفة والإشعاع الثقافي عن طريق توظيف عائداته المالية لتأسيس المدارس والإنفاق على احتياجاتها. وقد اتفق علماء اللغة على أن الوقف يعني الحبس والمنع عن الحركة[1] أي تأبيد الوقف وصرف ريعه وغلته بكيفية دائمة وفق شروط الواقف[2]. ويقال وقفت الدابة إذا حبستها في مكانها، ومنه الموقف لأن الناس يوقفون، أي يحبسون للحساب[3]. أما المتون المصدرية المغربية التاريخية والفقهية المالكية على السواء فتستعمل في الغالب الأعم مصطلح "الحبس" وجمعه "أحباس" كصيغة لغوية للتعبير عن ذات المفهوم الذي يؤديه مصطلح "الوقف"، وإن كانت قد استخدمت أحيانا المصطلح الأخير. أما اصطلاحا فالوقف يحيل على معنى تحبيس مال للانتفاع به مع بقاء عينه بقطع تصرف الواقف وغيره في رقبته، ينفق في جهة خير تقربا على الله[4].

وقد عني الفقهاء أكثر من المؤرخين بموضوع الأحباس، وتداولوه بكثرة في مصنفاتهم، خاصة في كتب النوازل، حتى أن العلامة أبو يحيى الونشريسي أفرد مجلدا من موسوعته النوازلية للأحباس وأحكامها[5].

ولا يعنينا في هذا المقام البحث والتنقيب في قضايا الوقف برمته، بل سينصب اهتمامنا على الوقف العلمي بصفته عاملا حاسما في الحركة العلمية، وشريكا أساسيا في نشأة المدارس وما حققته من إشعاع معرفي.

إذا كان تاريخ الوقف في المجتمع المغربي قد اقتصر في بدايته على الأفراد، فسرعان ما تحوّلت عملية الاستفادة منه إلى المؤسسات الدينية والتعليمية، كما تشهد بذلك المبادرة الوقفية الرائدة التي

* - أستاذ التعليم العالي في التاريخ المغرب الإسلامي- كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة مولاي اسماعيل- مكناس.
- أستاذ في تاريخ المغرب الإسلامي- جامعة مولاي اسماعيل- مكناس.

قامت بها فاطمة الفهرية التي أوقفت أموالها وممتلكاتها لصالح جامع القرويين، وهو الجامع الذي تولدت من رحمه أول جامعة إسلامية[6].

بيد أن عود الوقف شب واكتمل بشكل لافت خلال الحقبة المرينية الممتدة من سنة **668**هـ إلى سنة **869**هـ، وشهد طفرة في نموه الكمي والنوعي.

ولا يساورنا الشك في أن المرينيين استفادوا في نهضتهم الوقفية من التراكمات التاريخية التي سبقتهم، مما جعل مداخيل الوقف العلمي تعرف منحى تصاعديا حتى أن المؤرخ الجزنائي[7] قدّر أوقاف جامع القرويين بعد مرور بضعة أعوام على حكم بني مرين بعشرة آلاف دينار فضية.

كما ظهر في هذا العصر- كمؤشر على ازدهار الوقف- ما يعرف بالحوالات الحبسية التي هي عبارة عن سجلات ووثائق تحدد الممتلكات الموقوفة على المدارس وغيرها من المؤسسات الاجتماعية والدينية.

وكان من البديهي أن تستفيد المؤسسات التعليمية المرتبطة بالمساجد أو المدارس من هذا الانتعاش الذي عرفه مجال الوقف، وهو ما نسعى إلى معالجته في هذه الدراسة من خلال إثارة مجموعة من القضايا نلخصها في سؤالين مركزيين:

**1-** ما هي الجهات أو الأطراف التي كانت تبادر إلى وقف ممتلكاتها لصالح المؤسسات العلمية، وكيف ساهم هذا المشروع العلمي الخيري في ميلاد مجموعة من المدارس التي أصبحت تلعب دور الريادة الفكرية بالمغرب الأقصى؟

**2-** ما هي طبيعة الأصول والموارد الاقتصادية التي تشكلت منها تلك الموقوفات، وكيف كان يتم تدبير مداخيلها لتغطية احتياجات المدارس وتحقيق النفع العام للمدرسين والمقرئين والطلبة ؟

تلك هي الأسئلة المركزية التي يروم هذا البحث الإجابة عنها في حدود المادة المصدرية المتاحة.

أولا: الجهات المساهمة في الوقف العلمي ودورها في تأسيس المدارس: تأسيسا على ما ورد في المتون والنصوص المصدرية، يتضح أن ثمة طرفان في المجتمع المغربي كان لهما النصيب الأوفر من المشروع الخيري القاضي بتخصيص الوقف العلمي لتأسيس المدارس ورعايتها.

**1-** الأسرة الحاكمة ومبادراتها في الوقف العلمي: باستثناء وقف بعض الكتب على مكتبات المدارس، لم نتمكن من خلال البحث في ثنايا النصوص الخاصة بالعصر المريني، من رصد دور يذكر قام به المحسنون من عامة الرعية لتخصيص أوقاف لبناء المدارس العلمية[8]، وإن كان ابن خلدون قد أشار إلى

اهتمام المحسنين بالجانب المعرفي عموما[9]. وبالمقابل، فإن ما لدينا من مادة تاريخية تفصح عن أن ملوك بني مرين هم الذين أخذوا بزمام المبادرة، وهو أمر لا يبدو غريبا إذا علمنا أن هؤلاء عرفوا بجنوحهم للخير ومحبة أهل العلم وطلاب المعرفة كما تشهد بذلك مخلفاتهم الأثرية الدالة على استكثارهم من بناء المدارس والزوايا والربط التي أوقفوا عليها الأوقاف المغلة، وأجروا الجرايات على الطلبة والمقرئين الجرايات الكافية التي تفي بمؤونتهم ومعاشهم، وتساعدهم على إتمام مساراتهم الدراسية. لكن هل تكفي الرغبة في الخير لتفسير حرص سلاطين بني مرين على الوقف العلمي وتنميته؟

قد لا نجد عناء في فهم التوجه الرسمي المريني نحو هذه المشاريع الخيرية العلمية إذا ربطناها برغبتهم- كحكام- في أن تكون هذه المدارس المتولدة عن الوقف العلمي مهدا لتكوين الأنصار والأتباع الذين يستأسدون في الدفاع عن دولتهم[10] ومناهضة عقيدة خصومهم الموحدين كما يذهب إلى ذلك البعض[11]. كما لا يستبعد أن يكون امتزاج عملية الإسهام في الوقف العلمي بالإصلاح السياسي الذي كانوا يتطلعون إليه أمرا واردا في الحسبان[12].

بيد أنه لا يمكن إنكار الحافز الديني الذي جعلهم يقدمون على هذه المشاريع العلمية التي اتخذت من الوقف العلمي وسيلة، وهو ما تعكسه النصوص الواردة في وثائق التحبيس التي أجمعت على أن الدافع لهذا العمل هو "وجه الله العظيم، وثوابه الجزيل الجسيم"[13].

وتطالعنا إحدى الحوالات الحبسية بما يفيد أن السلطان المريني أبو الحسن علي **(731-752هـ)** أوقف مدرسة المدينة البيضاء "على إقراء القرآن العظيم وتدريس العلم بمدرسته المباركة، وهي مدرستهم الكائنة بدار ملكهم الشامخ ومقر عزّهم الراسخ المدينة البيضاء"[14]. وهو نص يوحي بحضور الخلفية السياسية في المشاريع العلمية الوقفية للسلطة المرينية بربط المدارس الوقفية بتدعيم سلطتهم السياسية.

وقد يمتزج الحافز الديني بالدافع العلمي كما يشهد بذلك نموذج تأسيس المدرسة المصباحية من قبل السلطان المريني أبو عنان فارس **(749- 759هـ)** الذي "قصد أيده الله تعالى ببنائها وجه الله تعالى في إحياء رسوم العلوم وتجديد العناية بالمنقول"[15]، فالجمع بين بناء المدرسة والرغبة في نشر المعرفة وتجديد العلوم بالرغبة في التقرب لله، ينهض قرينة على حضور المرجعية الإسلامية التي تربط بين العلم والدين، وترقى بالعلم إلى مستوى خانة المقدس[16].

ومهما كان تشابك هذه الحوافز لدى الأسرة المرينية الحاكمة، فمن الأكيد أن إسهامات الأسرة الحاكمة في الوقف العلمي امتدت إلى العنصر الأنثوي حيث أن زوجات السلاطين ساهمن في الوقف العلمي أيضا، وهو ما تنطق به وثيقة التحبيس الخاصة بمدرسة المدينة البيضاء (الاسم الذي كان يطلق على منطقة فاس الجديدة ) التي تشير إلى أن زوجة السلطان المريني أبي سعيد عثمان أوقفت جملة من موقوفاتها على تلك المدرسة[17].

ونقتطف من نص تلك الوثيقة ما يشير إلى بعض الممتلكات التي أوقفتها زوجة السلطان على المدرسة السالفة الذكر، إذ ورد في نص الحوالة: "...وعلى مقربة من رأس المال المشتمل على خمس و ثلاثين أثرة منها أثرتان كانتا للمولاة الحرة المقدسة المرحومة المتطهرة أم مولانا أبي الحسن نوّر الله ضريحها"[18].

وفي نفس منحى مساهمات الأسرة الحاكمة في تعميم الوقف العلمي على المدارس، ورد في الحوالة الحبسية الخاصة بمدرستي الصهريج والسبعيين بمدينة فاس أن الأمير المريني أبو الحسن علي "حبسهما على طلبة العلم الشريف وتدريسه"[19].

وعلى نفس النهج سار السلطان المريني أبو عنان فارس، فبعد تأسيسه مدرسة الطالعة الواقعة في مدينة فاس القديمة سنة 751هـ/1351م "حبّس عليها جملة وافرة من الممتلكات"[20].

من حصاد هذه النصوص، يتبيّن مدى الدور الهام الذي قامت به الأسرة المرينية الحاكمة لتوظيف الوقف في بناء المدارس، وتنميته لسدّ حاجاتها المختلفة.

**2- العائلات الفاسية ودورها في وقف ممتلكاتها لخدمة العلم والمعرفة:** إلى جانب الأسرة الحاكمة التي أمدتنا المصادر حولها ببعض المعطيات النصية التي تكشف دورها في الوقف الخيري على أهل العلم لإنشاء المدارس، نعثر على مؤشرات أخرى تميط اللثام عن دور بعض العائلات الفاسية النبيهة التي ساهمت كذلك في مجال الوقف العلمي. بيد أن هذه المؤشرات يلفها الغموض، ولا تشير بوضوح إلى ما يمكن الباحث من الكشف بجلاء عن دورها في الوقف على المدارس. فمجمل أسماء الأسر الفاسية التي يمكن أن نستقيها من الحوالات الحبسية، هي مجرد إشارات تؤكد أن ممتلكاتها كانت تستغل في بناء المدارس، أو وقف ممتلكاتها لاستغلال مداخيلها كرواتب لشيوخ المدارس ومنح للطلبة، أو لإصلاح المدارس ذاتها. ومن بين تلك العائلات، ترد أسماء عائلة ابن الشراط وابن العطمير، وابن السكاك وبني مليح، وأسرة الحاج القراق وعائلة ابن سلام وابن قشاشة وغيرها[21].

ولا نستبعد أن يكون حافز العمل الخيري من أهم الحوافز التي حدت بهذه العائلات الفاسية إلى وقف ممتلكاتها خدمة للمعرفة، ومساعدة الطلاب وأهل الفكر.

3 - توظيف الوقف العلمي في بناء المدارس بفاس: تفرعت الأوقاف في العصر المريني إلى عدة فروعفي العديد من جهات المغرب، وحسبنا أن مدينة فاس وحدها عرفت تسعة فروع أوردها العلامة محمد المنوني[22]، نذكر منها أوقاف جامع القرويين، وأوقاف الزوايا، وأوقاف الوصايا وغيرها، لكن ما يهمنا منها في هذه الدراسة أوقاف المدارس.

والواقع أن الوقف العلمي المخصص لتأسيس المدارس جاء في إطار استئناف المشروع التعليمي الذي عطلته بعض الفتن والقلاقل المصاحبة لبداية نشأة الدولة المرينية. كما جاء أيضا في سياق التقرب إلى رجال العلم والفقهاء الذين يعطون للدولة مشروعيتها الدينية. وكان توظيف مداخيل الأحباس إحدى الوسائل التي نهجها سلاطين بني مرين لبناء تلك المدارس، علما أن هذه المداخيل ساهمت في تخفيف أعباء نفقات الدولة في المجالات التعليمية على الخصوص، إذ أصبح ناظر الأحباس في مدينة فاس - موضوع دراستنا - يتوصل بمداخيل الأوقاف فينفقها كرواتب للمدرسين وإعانات للطلبة[23].

وقد شهد عهد السلطان المريني أبو سعيد عثمان (710-731هـ/1310-1331م)، وأبي الحسن وأبي عنان فارس تأسيس مجموعة من المدارس في عاصمته السياسية والعلمية مدينة فاس، استفادت جميعها من عائدات الأوقاف نعرض لخطوطها العريضة:

- مدرسة المدينة البيضاء (فاس الجديد): أسست هذه المدرسة سنة 720هـ من طرف السلطان المريني المنوه به، وذلك في إطار سياسة الوقف العلمي. وفي هذا السياق ذكر ابن أبي زرع ما يلي: "أمر أمير المسلمين أبو سعيد أيد الله ببناء مدرسة بحضرته من فاس الجديد، فبنيت أتقن بناء، ورتب فيها الطلبة لقراءة القرآن والفقهاء لتدريس العلم، وأجرى عليهم المرتبات والمؤونة في كل شهر، وحبّس عليهم الرباع والمجاشر"[24].

يشي هذا النص بأن تأسيس هذه المدرسة قد تمّ دعمه بأشكال من الوقف المتكونة من الممتلكات العقارية والأراضي الفلاحية، وأن هذه المداخيل سمحت ببناء المدرسة بناء في غاية الإتقان. كما يسمح هذا النص بالاستنتاج أن الأهداف العلمية تكمن وراء هذا التأسيس والتي أجملها في "تدريس العلم"، مما يؤكد العلاقة الوثيقة بين الوقف والهدف العلمي الذي وظفت من أجل تحقيقه.

**- مدرسة الصهريج:** ورد ذكر هذه المدرسة في وثيقة حبسية يستشف من فحواها أن المدرسة بنيت بأمر من السلطان المريني أبو الحسن الذي كان آنذاك وليا للعهد، وأن بناءها اكتمل في شهر ربيع الأول من عام 723هـ[25].

ويضيف ابن أبي زرع إشارة حول بداية سنة تأسيسها وهي عام 721هـ، مبينا استفادتها من عائدات الأوقاف بقوله : "وأسكنها بطلبة العلم وقراء القرآن، وأجرى عليهم الإنفاق و الكسوة، وحبّس عليها رباعا كثيرة"[26]. كما أوقف فندقا بجوار المدرسة لسكنى الطلبة.

ويبدو من خلال الإشارات التي يمدنا بها النصان الآنفان أن مداخيل الأوقاف كانت تستغل للإنفاق على طلبة العلم وسكنهم ومعاشهم وكسوتهم، ناهيك عن مرتبات المقرئين والقائمين على تلك المدارس.

**- مدرسة العطارين:** جاء تأسيس هذه المدرسة أيضا ضمن مشاريع الوقف العلمي، وهو ما تؤكده وثيقة التحبيس التي تنص على أن السلطان المريني أبو سعيد عثمان وضع حجر أساسها سنة 723هـ/1323م بحضور مجموعة من الفقهاء والصلحاء[27]. ومما جاء في نص الوقف: "هذا ما حبّس وأمر بتخطيطه مولانا أمير المسلمين المجاهد في سبيل الله رب العالمين واسطة سلك ملوك بني مرين أبو سعيد"[28].

ويستشف من هذا المتن أن تخطيط المدرسة المذكورة ووضع مشروع تأسيسها جاء في إطار سياسة الوقف العلمي التي نهجها السلطان المريني أبو سعيد عثمان، مما يعكس الدور الذي لعبته الأوقاف في تأسيس المدارس.

وقد عيّن السلطان المريني المذكور مجموعة من الفقهاء للتدريس بالمدرسة، و"اشترى عدة أملاك وقفها عليها احتسابا لله تعالى ورجاء ثوابه"[29]، وهو نص يحمل دلالة عميقة في دور الوقف العلمي ومساهمته الفعالة في بناء المدارس. وقد تمت أعمال بناء المدرسة سنة 725هـ/1325م بعد أن جاءت في غاية الروعة والجمال حتى أن البعض شبهها "بتحفة مدينة فاس"[30].

ويخيل إلينا أن هذه الروعة في البناء والتكاليف الباهظة التي تطلبها، جاءت انعكاسا لوفرة مال الأحباس الذي أنفق في عملية بنائها لمدة عامين على الأقل.

***المدرسة المصباحية:** تعد هذه المدرسة بدورها نموذجا للمدارس الوقفية. وينسب ابن مرزوق[31] تأسيسها إلى السلطان المريني أبو الحسن، ويحدد موقعها بالقرب من جامع القرويين دون ذكر لتاريخ إنشائها،

وإن كان البحث قد أسعف في الوقوف على سنة الفراغ من تأسيسها، وهي سنة 741هـ/1347م حسبما هو مسجل في الحوالة الحبسية المنقوشة في الرخامة المغرزة في الحائط المقابل للمدخل الرئيسي من المدرسة[32]. وتشير النصوص إلى أن بناء هذه المدرسة جاء آية في الحسن والجمال بفضل ما كانت تتوفر عليه من أوقاف متعددة كانت تنفق عائداتها عليها، حتى أنها وصفت بكونها أغنى مدرسة من حيث الموقوفات المحبسة عليها.

*المدرسة المتوكلية (البوعنانية): ينسب بناء هذه المدرسة إلى السلطان المريني أبي عنان فارس، وسميت بالمتوكلية نسبة إلى لقبه الذي هو المتوكل على الله، وذلك سنة 751هـ. وقد عرف هذا السلطان بشغفه بالعلم ومحبة أهله[33]، لذلك لا غرابة أن يسهم بدور فعال في بناء المدارس. وقد ورد في الحوالة الحبسية الخاصة بهذه المدرسة أن أبا عنان أسسها على "تقوى من الله ورضوان المعدة لتدريس العلم وقراءة القرآن"[34]، وأن الذي أشرف على بنائها هو أبو الحسن أحمد بن الأشقر[35]، ويذكره الحسن الوزان تحت اسم آخر وهو ابن الحاج الذي ضبط مصاريف أموال الأحباس التي خصصت لهذه المدرسة وقدرها، فوجدها قد بلغت 480 ألف مثقال[36].

ويبدو أن هذه الشخصية إلى جانب مكانتها وخبرتها في إدارة الأوقاف كانت تتميز بمكانة محترمة في الأوساط العلمية، بدليل ورود اسمه في الحوالة الحبسية إلى جانب اسم السلطان أبي عنان. والراجح أنه كان عارفا بدقائق أمور أموال الأحباس و حريصا على مراقبتها من أي عبث[37].

والجدير بالذكر أن السلطان المريني أبو عنان فارس خصص عدة أصناف من الموقوفات لإصلاح هذه المدرسة وأداء أجور مدرسيها والقائمين على شؤونها[38].

ومما تجدر ملاحظته أيضا أن الحوانيت التي تم تحبيسها عليها كان لا يفصلها عنها إلا حائط مشترك، وهو ما يجعلنا نفترض أن المدرسة كانت تعرف استقلالا ماديا بفضل ما كانت تدره عليها مداخيل الأوقاف.

ثانيا: الموارد والأصول الموقوفة لتلبية احتياجات المدارس:

1-الموارد الموقوفة على المدارس: تنوعت الموارد الاقتصادية التي وظفها المحبسون لتوفير أموال الوقف اللازمة للإنفاق على المدارس والنظر في احتياجاتها الأساسية، وتوفير الرواتب للأساتذة والمنح للطلبة. وبإلقاء نظرة على الحوالات الحبسية الخاصة بالمدارس المرينية في فاس، يتبين أن الأحباس كانت تتكون من قطع أرضية وممتلكات عقارية، وبساتين وحوانيت ومرافق تجارية ودور وأفران وفنادق وحمامات

عمومية وبيوت الأراحي. وقد تم تحديد هذه الممتلكات العقارية والمرافق التجارية وغيرها من أصول الأحباس في الحوالات الحبسية بنوع من الدقة والضبط[39]، كما تم ذكر هذه المعلومات أحيانا في بعض الرخامات المغروزة، وهو ما يتجلى في المدرسة المصباحية التي نقشت في جدار من جدران قبتها الخاصة بالدروس مجموعة من الممتلكات الموقوفة. وإلى جانب التحديد الدقيق للموقوفات الخاصة بكل مدرسة، يلاحظ أن المحبسين حرصوا على إضافة الأوقاف المجهولة المالك إلى جملة الأوقاف المحبسة على طابة العلمةم ووجوه البر والإحسان[40]، ثم وقف كل ذلك وقفا مؤبدا، كما تنطق بذلك الحوالات الحبسية. ففي وثيقة تحبيس المدينة البيضاء، نجد على سبيل المثال العبارة التالية: "حبسوا ذلك كله وخلدوه تحبيسا دائما وتخليدا مؤبدا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها". كما نجد في حوالة أحباس المدرسة المتوكلية عبارة شبيهة ورد فيها ما يؤكد الوقف المؤبد إذ جاء فيها "...إجراء الصدقات الباقية بقاء الدهر ". كما حرص المحبسون على عدم مساس أي شخص فردي أو معنوي بما أوقفوه من ممتلكات، إذ نجد في نهاية كل حوالة حبسية عبارة "فمن بدله أو غيره أو أحلّ بشيء منه فإن الله حسبه وسائله وولي الانتقام منه"[41].

وإذا حاولنا حصر هذه الأصناف من الأملاك المحبسة على كل مدرسة من المدارس الفاسية أمكن توضيحها عبر الجداول الآتية:

أ- موقوفات المدرسة المصباحية:

| الموقوفات | مواقعها | ملاحظة |
|---|---|---|
| 1- داخل المدينة القديمة : | | |
| - الحانوت الثانية عشر | وهو يقع عن يمين المنعطف من زنقة الديوان إلى سماط العطارين. | |
| | وهي مصطفة على قنطرة القفاصين (1) | |
| - جميع ثلاثة عشر حانوتا | هي أمام السجن، وتعرف بدار العفايري (2) | |
| - جميع الدار الكبرى الكائنة بالقلعة. | وهي الكائنة برياض حجي مع قاعة متصلة بها، | أعلى القطانين |
| - ثلاثة ديار. | وهي متصلة بعضها ببعض. | |
| -ثلاثة أرباع (3/4) في دار بالجرف. | وهي تقع بالجرف المدعو حاليا حي سيدي أحمد الشاوي(3). | |
| -خمسة أثمان (5/6) بفندق الرضاع. | وهي تقع بشرقي الجامع الأعظم، أي جامع القرويين | |
| -أربعة أسباع (4/7) بجنان. | وهو يقع بحمام الرياض ويتصل بالمسجد الذي يقع هناك (4). | |
| 2- داخل المدينة البيضاء: | | |
| - دويرتان بالمدينة البيضاء. | وهما تقعان بالمدينة البيضاء. | |

| | | |
|---|---|---|
| **3- خارج المدينة :** | | |
| - جنان. | وهو يقع بخارج باب الفتوح ويعرف بأبي الأولاد(5). | |
| -الثلث(1/3) في المدشر المعروف بقلعة كباب (6) | يقع خارج مدينة فاس. | |
| - جميع مدشر الحاجة (7) | يقع في أحواز فاس. | |
| -بعض من أرض تاجحة والولجة والأرض المسقية لتاجحة المذكورة (8). | تقع خارج أسوار فاس. | |
| ـــ ومن ذلك ما وجب بالمحاصة. | في منزل الحاجب (9) ومدشر لبني وارتين (10) وذلك خمسمائة سهم وخمسة وأربعون سهما وسدس سهم من ثلاثة آلاف سهم وثلاثة مائة سهم واثني عشر سهما وثمن سهم وخمسة أسداس الثمن باسم الخطيب أبي الفضل الزدغي. | تقع هذه الممتلكات خارج مدينة فاس |

**حواشي موقوفات المدرسة المصباحية:**

(1) لا تزال مصلحة الأحباس تتوصل بمداخيل هذه الحوانيت.

(2) لم تعد مصلحة الأحباس تتوصل بشئ من أية دار هناك.

(3) Inscriptions arabe de Fes , J,A. 1918 , TIX , p259.

(4) لا يوجد حاليا أثر لهذا الاسم ( حمام الرياض)، وبناء على المعلومات التي وفرتها مصلحة الأحباس، يتعلق الأمر ببساتين البليدة، أنظر Inscriptions ... , op-cit , p260.

(5) لا تزال حاليا بباب الفتوح حديقة تعرف بأبي الأولاد.Ibid,p260

(6) يوجد بقبيلة أولا جامع شمال شرق فاس.Ibid, p 260

(7) قد يكون موقعه في المكان المعروف حاليا الحاجة جنوب فاس وليس بعيدا عن مدينة فاس.Ibid,p260

(8) توجد هذه الحديقة عزب باب الجديد، أنظر : Ibid,p260

(9) لا يزال هذا المكان يعرف بهذا الاسم، ويقع على بعد أربعة أو خمسة كيلومترا شمال فاس قرب ضريح سيدي أحمد البرنوصي.

(10) لا يعرف موقع المدشر، أنظر :Ibid, p261

**تعليق حول هوامش موقوفات المدرسة المصباحية:** انطلاقا من موقوفات المدرسة المصباحية بإمكاننا أن نخرج بالاستنتاجات التالية:

**أولا:** أن موقوفات هذه المدرسة كثيرة جدا، وهذا شيء طبيعي بالنسبة لمدرسة تضم سبعة عشر ومائة بيت لطلبة العلم. علما بأن هذه الموقوفات كانت مداخيلها مخصصة لمرتبات الأساتدة والطلبة والقائمين بشؤون المدرسة.

**ثانيا:** أن موقوفاتها موزعة داخل المدينة وخارجها. وتتكون الموقوفات الواقعة في الأحواز من حدائق وأراضي خصبة ومسقية، ولاشك أن مداخيلها كانت مرتفعة.

**ب- موقوفات مدرسة العطارين:**

| المـــــوقوفـــــات | أمــاكـــن وجـــودهــا | نـــوعيتــــها |
|---|---|---|
| الحانوت الثالثة | الكائنة عن يسار الخارج من الجزارين | متــــــجر |
| بيت أرحى مصالة و الحجر الثاني مع القاعة المتصلة به. | شيبوبة | مشروع حرفي |
| نصف شائع | الكائن بقاعة الزرع بالبيت الموالي لحمام الزيات | قطعة أرضية مخصصة لبناء الدور |
| الفـــــرن | كرنيـــــــز | صناعة الخبز |
| دار | كانت ملاصقة لفرن الكوشة | عقار |
| دار علو | الكائنة بالصباغين | عقار |
| دار علو | الكائنة بجزا ابن زكون | عقار |
| دار | الكائنة ببرزخ ملاصق بدار أمن الله. | عقار |
| مصرية | عين الخيل محملة على الصابة | عقار |
| نصف فندق الرصاع | الكائن شرق القرويين | فندق السكنى المسافرين والتجار |

**تعليق حول موقوفات مدرسة العطارين بفاس: انطلاقا من لائحة موقوفات مدرسة العطارين نخرج بالاستنتاجات الآتية:**

**1- أن هذه الموقوفات تتضمن عددا لا يستهان به من الممتلكات التي تتكون من الدكاكين والدور والفنادق والأرحية والأفران والقطع الأرضية المخصصة لبناء الدور، وهي ممتلكات ذات دخل هام ومضمون.**

**2- أن هذه الممتلكات متمركزة داخل المدينة القديمة.**

**ج- موقوفات مدرسة المدينة البيضاء:**

| الموقـــــوفــــات | أمـــــاكن وجودهــــــا | نوعـــــها |
|---|---|---|
| **1ـــ الموقوفات خارج المدينة:** مدشر أبي زيد المشتمل على خمسين وثلاثين أثرة (1) منها :أثرتان كانتا في ملك والدة أبي الحسن المريني تحبسان على المدرسة بعد وفاتها. | يقع هذا المدشر في أحواز مدينة فاس على مقربة من رأس الماء (2) | أراضي فلاحية |
| **2- الممتلكات داخل المدينة القديمة:** - حمام السلطان (3) | كان يوجد بالخراطين بالقرب من مسجد الشرقاء | |

| | | |
|---|---|---|
| - حمام الدرب الطويل<br>- أعلى الحمامين<br>- الاستئجار السنوي لثلاث مصار<br><br>- 16 حانوتا (4)<br><br>- سبعة أثمان في فندق درب الغربا(5)<br>- بيت الأرحا. | يقع بأقصى الدرب المذكور<br>نفس الموقع<br>اثنان يقعان بأعلى حمام السلطان وواحدة بأعلى حمام الدرب الطويل.<br>كانت محملة على وادي "الجوطية" وهي عن يسار الداخل إليها في الطريق الثاني من فم عين علون.<br>يقع بجرنة.<br>تقع بوادي قميمة (6) المشتمل على حجرين اثنين. | مشاريع تجارية |
| 3- الممتلكات داخل المدينة البيضاء:<br>- الكوشة الكبرى (7) والحانوتان<br><br>- حانوت | <br>كانتا متصلتان بها من ناحية الجوف وأعلى جميع ذلك لخدمة الكوشة المذكورة.<br>يقع عن يمين الخارج من باب المدرسة القبلي (8) | مشاريع تجارية |

حواشي موقوفات مدرسة المدينة البيضاء:

(1) أثره : قسم ترابي يحكمه نصيب مائي معين.

(2) لم يعد هناك وجود لهذا المدشر، سوى أن هناك أثارا لصومعة ( صومعة المجراجة) وأثارا لجدران بالقرب من رأس الماء على بعد 14 كيلومترا من فاس، فهل هذه الآثار هي موضع مدشر أبي زيد المذكور في وثيقة التحبيس، أنظر : Inscription ,A. de Fes.op.cit , p162.

(3) لم يكن هناك وجود لهذا الاسم حاليا. Ibid , p162.

(4) لا تزال مصلحة الأحباس تتوصل بمداخيل هذه الحوانيت.Ibid,p163.

(5) لم يعد هناك وجود لهذا الفندق حاليا.Ibid,p163.

(6) لا يزال حاليا برحبة التبن مسجد يعرف بجامع قميمة أو جامع الزليج. وقد بني على رافد من روافد واد فاس الذي قد يحمل اسم واد قميمة. وقد يعطى هذا الاسم للجامع المؤسس هناك.

(7) يظهر أن الكوشة المذكورة هي المسماة حاليا ((كوشة الحفيان)) والتي لا تزال مصلحة الأحباس تتوصل منها بالمداخيل.

(8) لا يوجد اثر لهذا الحانوت نظرا للإصلاحات التي عرفها القصر الملكي والمدرسة معا.

**استنتاجات من وثيقة تحبيس مدرسة المدينة البيضاء:** نستنتج من وثيقة التحبيس على مدرسة المدينة البيضاء ما يلي:

- إن موقوفات المدرسة كلها من تحبيس الأسرة المالكة وحدها أبو سعيد عثمان وزوجته والدة أبي الحسن علي، وهذا يدل على حب هذين الأخيرين للعلم وأهله، ولكن أيضا يجعل المؤسسة مدرسة حكومية.

**- إن موقوفات المدرسة متنوعة وموزعة داخل المدينة وخارجها، فهي تتكون من مساحة هامة من الأراضي الزراعية المسقية في أحواز فاس بالموضع المعروف برأس الماء الذي ينبع منه مياه وادي الجواهر، وعقارات داخل المدينة القديمة والمدينة البيضاء، وتشمل هذه العقارات عددا هاما من الحمامات والبيوت والحوانيت والأرحية والأفران وغيرها.**

**د- موقوفات مدرسة الصهريج والسبعين:**

| الموقوفات | أماكن وجودها | نوعيتها |
|---|---|---|
| **1-** الموقوفات المحبسة على دار أبي حباسة المخصصة لشيوخ العلم بجامع الأندلس وعلى مدرستي الصهريج والسبعيين.<br>-مجموعة من البساتين (الجنات) خارج باب الجديد، وهي:<br>+ جنان بن شراط.<br>+ جنان ابن العطمر.<br>+ جنان أبي زيد بن علي.<br>+ جنان تميم.<br>+ جنان السمار.<br>+ جنان الولجة المجلوب منه ماء المدرستين.<br>+ عرصة المرسى مع عرضة الحدودي بغدير حسن.<br>- حظ من جنان ابن ريتق. | تقع هذه "الجنات" كلها خارج باب الجديد.<br><br>يقع خارج باب بني مسافر | بساتين لإنتاج الخضر والفواكه<br><br>بستان لإنتاج الخضر والفواكه |
| - مجموعة من بيوت الرحى، هي :<br>+ اثنين بغدير حسن.<br>+ الثالث بغدير الجوزا<br>+ الرابع بالعيون.<br>+ الخامس بزقاق شي مليح<br>+ السادس أسفل حمام الزليج<br>+ نصف في رحا متصل بعرصة ابن سكاك<br>+ قاعة بيت الرحا الكبير بأبي طوبة وثلث أنقاضه. | غدير حسن<br>غدير الجوزا<br>العيون<br>زقاق شي مليح<br>أسفل حمام الزليج<br>متصل بعرصة ابن سكاك<br>أبو طوبة | صناعة الدقيق |

| | | |
|---|---|---|
| - مجموعة من الحوانيت، هي :<br>+ سبع حوانيت<br>+ أربع حوانيت<br>+ حانوت باللبادين<br>+ حظ من حانوت | درب ابن صافي<br>عدوة الأندلس<br>اللبادين<br>العطارين | دكاكين للتجارة |
| - سائر الممتلكات الآتية :<br>+ فندق ابن خنوسة<br>+ دار ومصرية<br>+ مصرية<br>+ مصرية الحاج القراق<br>+ نصف دار<br>+ ثلاث وخمسون قاعة من جزاء باب الحديد | رحبة القيس<br>درب ابن صافي<br>اللبادين<br>الكائنة عند المسجد الحمراء<br>الكائنة عند المسجد الحمراء<br>باب الحديد | سكنى للمسافرين والتجار<br>عقار<br>عقار<br>عقار<br>عقار<br>عقار |
| 2- الموقوفات الخاصة بمدرستي الصهريج والسبعيين:<br>- حمام الزليج والحوانيت الثلاث المتصلة به.<br>- ربع الرصيف المشتمل على أربعة وأربعين حانوتا والأطرزة المحملة عليها.<br>- داران لابنة قشاشة.<br>- حظا من دار ابن سلام الجديدة.<br>- الدويرة لابن سلام. | اختفى هذا الاسم حاليا<br>اختفى هذا الاسم حاليا<br>الكائنة بالقرب من الأولى | مشاريع تجارية |

**<u>تعليق حول موقوفات مدرستي الصهريج والسبعيين:</u> بإمكاننا أن نستنتج من لائحة موقوفات مدرستي الصهريج والسبعيين الملاحظات الآتية:**

**1 - وفرة الموقوفات التي تتكون من بساتين مغلة خارج أسوار مدينة فاس ورباع داخل أسوار المدينة**

**2 - أن الرباع داخل أسوار المدينة تتكون من مجموعة كبيرة من الأرحية والدكاكين والدور فضلا عن فندق وحمام.**

**3 - أن الحوالة وضحت لنا بالتدقيق الموقوفات المخصصة لدار أبي حباسة التي أنشأت لصالح شيوخ العلم بجامع الأندلس وللإنفاق على مدرستي الصهريج والسبعيين.**

هـ- موقوفات المدرسة المتوكلية (البوعنانية):

| الموقوفات | أماكن وقوعها | ملاحظة |
|---|---|---|
| - جميع ما ينقسم من الربع وذلك الحمام المعروف بحمام الشطارة(1) والدويرة المتصلة من حقوقه. | وهي تقع بأعلى حلق النعام قبلي المدرسة المباركة. | |
| - الرحا (2) المتصلة بالمدرسة من جهة الشرق. | شرق المدرسة. | جميع موقوفات المدرسة تقع بالقرب منها مباشرة مما يميزها عن غيرها من المدارس الأخرى. |
| - الرحا الثانية المعروفة برحا الخطابين (3) التي بها معدة الماء المجلوب منها الماء إلى المدرسة ودار الضوء بها. | قريبة من المدرسة. | |
| -الفرن(4) الذي يقع بالزنقة الفاصلة بينه وبين المدرسة. | | |
| - الرواءان الاثنان (5). | أحدهما بالزنقة جنب الفرن ويتصل بالحوانيت الجدد المحبسة على المدرسة، والآخر بزنقة ابن نوار ويتصل بدار الوضوء المذكورة. | |
| - أربعون وسبعين حانوتا (6). | كلها بالقرب من المدرسة | |

(1) لا يوجد بهذا المكان حاليا أي حمام يحمل اسم حمام الشطارة، أنظر.Inscriptions ,... , op-cit p367

(2) كانت قائمة إلى العشرينات من هذا القرن الميلادي. Ibid , p368.

(3) كانت هي أيضا قائمة إلى العهود الأخيرة. Ibid , p368

(4) لا يزال قائما ويعرف حاليا باسم (( فران الجماهري )) نسبة إلى شخص كان قد استأجره مدة.Ibid , p368

(5) لا يزالان قائمان إلى عهد قريبة منا.Ibid , p368

(6) لا تزال قائمة حاليا وكلها قريبة من المدرسة إن لم تكن متصلة بها مباشرة في نفس البناية. Ibid , p368

**تعليق حول موقوفات المدرسة المتوكلية (البوعنانية): نستنتج من وثيقة التحبيس على المدرسة المتوكلية ما يلي:**

**أولا: وفرة الموقوفات على المؤسسة، وهذا الشيء طبيعي بالنسبة لهذه المؤسسة التي تضم مسجدا جامعا ومدرسة مجهزة بكل المرافق الضرورية من بيوت للطلبة وقبتين لإلقاء الدروس ومكتبة... بمعنى أن مداخيل الموقوفات مخصصة لمرتبات المقرئين والطلبة والقائمين بشؤونها، فضلا عن الأئمة و المؤذنين.**

**ثانيا:** أن هذه الموقوفات توجد بالقرب من المؤسسة مباشرة بخلاف ما كان عليه الشأن في المدارس السابقة.

**ثالثا:** إن معظم موقوفات المؤسسة لا تزال قائمة حاليا لأنها تتكون في معظمها من دكاكين تجارية. وهذا يدل على حسن تدبير أبي عنان الذي ارتأى أن تكون هذه الدكاكين ضمن بناية المؤسسة نفسها أو قريبة منها.

**2- التسيير الإداري للوقف العلمي بالمدارس:** رغم شح النصوص التي تلقي قبسا من النور حول طريقة تسيير الممتلكات الوقفية الخاصة بمدارس العاصمة فاس، فإننا نستطيع من خلال الشذرات المتناثرة في الحوالات الحبسية وكذا بعض الروايات التاريخية على قلتها، أن نستشف بعض المعطيات التي تجعل هذه المسألة في منطقة الضوء.

لقد كان لكل مدرسة من المدارس الفاسية سجلات خاصة بتدوين المعلومات حول الموقوفات. ويستشف من إحدى الروايات التاريخية أن أوقاف المدارس الجامعة كالقرويين على سبيل المثال كانت تدون في سجلات خاصة. وفي هذا الصدد أورد ابن أبي زرع[42] في أخبار سنة 723هـ- وهي السنة الموافقة لعهد حكم السلطان المريني أبي سعيد عثمان- "أن دفتر أوقاف القرويين أحرق مرة صدفة". والراجح أن المقصود من مصطلح "دفتر" مجموع السجلات الرسمية أو ما عرف بالحوالات الحبسية التي كان يوثقها العدول ويصادق عليها القضاة[43]، فتكون بهذا المعنى وثيقة قانونية يتم من خلالها معرفة أملاك الأحباس ومقاصد المحبسين وحمايتها من التلف. كما تتضمن جردا سنويا للوائح الموقوفات وأماكنها وحدودها وما تغله من غلات. وقد عرفت هذه الحوالات لأول مرة في العصر المريني. ومن باب الاحتياط في الضبط والدقة وعدم التلف، نقشت الموقوفات الموقوفة على رخامات غرزت في جدران المدارس كما تثبت ذلك الرخامات التي لم يطويها الزمن إلى الآن.

وقد كلف ناظر كل مدرسة بالنيابة عن القاضي في الإشراف على موقوفات المدارس، ينهض حجة على ذلك ما ورد في وثيقة التحبيس الخاصة بالمدرسة البوعنانية من أن المشرف على بنائها هو "الناظر في الحبس بحضرة فاس....أبي الحسن بن أحمد بن الأشقر"[44]، وفي بعض الحالات كان القاضي نفسه يقوم بمهمة ناظر الوقف المخصص للمدارس كما يشهد بذلك نموذج القاضي أبي أمية الدلائي الذي عينه السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني على مدينة فاس "فكان يهتم بشؤون الأوقاف وبناء

المدارس من الأحباس لطلبة لعلم والمقرئين وأجرى المرتبات عليهم"[45]، ناهيك عن مهمته المتمثلة أيضا في ترشيح الساتدة المؤهلين للتدريس في المدارس والجوامع والمصادقة على ميزانية الوقف[46].

ويستنتج من المتون النصية المتاحة أن ناظر الأحباس في المدارس كان بمثابة مدير المدرسة الذي يسهر على تسيير إيجار العقارات الموقوفة عليها، وشراء لوازمها، وصرف الرواتب للمدرسين والخطباء والأئمة والطلبة وكل القائمين بالوظائف العلمية فيها[47]. كما كان يقوم بمهمة تفقد الممتلكات الموقوفة عليها، فرغم ما كان يتميز به من صدق وأمانة[48]، فإنه كان ويحاسب على عمله بصرامة، ويعزل إذا ظهرت خيانته[49]. وفي الوقت ذاته، كان هو الذي يعيّن البيوت التي يسكن فيها الطلبة داخل المدرسة[50].

ولا يساورنا الشك في أن كل سوء تصرف في تدبير أموال الأوقاف أو إنفاقها في غير أهدافها العلمية كانت تؤثر سلبا على المسار العلمي والفكري للمدارس ؛ وحسبنا أنه في أواخر الدولة المرينية عندما وظف السلطان المريني أبو سعيد عثمان الثاني مداخيل الأحباس لإنجاز عملياته الحربية، انعكس ذلك على الوضع الفكري الذي عرف انحطاطا شمل مدارس فاس وغيرها من المدن المغربية الأخرى.[51]

**3- الإنفاق على المدرسين والطلبة من أموال أوقاف المدارس:** لا نملك إحصائيات حول قيمة الموقوفات التي عالجناها سلفا، سواء كانت تلك الموقوفات من الأراضي الفلاحية أو من المرافق التجارية، باستثناء بعض الإشارات الشاحبة التي وردت حول مقدار النفقات المصروفة على المدرسة البوعنانية من مال الأوقاف[52].

بيد أن العديد من المؤشرات ترجح أن مجمل الموقوفات كانت تدر دخلا محترما ومضمونا، كما كانت تتميز بديمومته واستمراريته. وقد تكون روائع الفن والديكورات البديعة التي رافقت بناء المدارس إحدى المؤشرات القوية التي توحي بكثرة مداخيل أوقافها[53]. كما أن تغطية مرتبات المدرسين ومنح طلبة العلم التي كانت تتم من هذه المداخيل تغطية كاملة تقوم قرينة على وفرها، خاصة في فترات الازدهار والاستقرار السياسي.

ويمكن من خلال وثيقة الوقف الخاصة بالمدرسة المتوكلة (البوعنانية) أن نستخلص وفرة دخل موقوفاها، وهو أمر بديهي بالنسبة لهذه المؤسسة العلمية التي كانت تشتمل على مسجد جامع ومدرسة مجهزة بكل المرافق الضرورية من بيوت وسكن للطلبة، وقبتين لإلقاء الدروس ومكتبة لمطالعة الكتب[54].

ومن خلال تصفح مضامين الحوالات الحبسية الخاصة بالمدارس، فضلا عن بعض المتون النوازلية، يمكن الوقوف على مجموعة من الفئات المستفيدة من أموال الأوقاف، والمتمثلة في المدرسين والمقرئين والطلبة والقائمين على شؤون المدرسة، فقد سئل أحد الفقهاء الذين عاصروا المرينيين حول صحة مشروعية من يأخذ مرتبه من أوقاف المدارس، فأجاب "إن قام بالوظيفة المشروطة عليه في ذلك، وكان المال الموقوف على المدرسة لا يعلم أنه تعلق به حق معين، فذلك حلال، وإن كان الورع ترك ذلك"[55]. ويفهم من نص الفتوى أن شرعية قبض المرتبات من مال الوقف رهن بانعدام أي استحقاق يطالب به من حصة المرتب الخاص بالمدرس، وفي ذلك حرص كبير من جانب المشرع على تسيير مال الوقف في الاتجاه الصحيح الذي يضمن سلامته الشرعية.

علاوة عن ذلك، خصصت حصة أخرى من أموال الوقف لإصلاح المدارس في حالة تشقق جدرانها أو تهدم جزء منها، وإن كان ذلك يسفر أحيانا عن انخفاض ميزانية مال الأوقاف الموجه لأداء رواتب موظفي المدارس[56]. كما كان يحتم تخصيص جزء منها للحاجيات الضرورية والأكل والملبس بالنسبة للطلبة المقيمين بها. وقد لخصت وثيقة التحبيس الخاصة بالمدرسة البوعنانية الفئات المستفيدة من أموال الأوقاف ومجالات الإنفاق في "إصلاح المدرسة ومرتبات المقرئين والطلبة والقوامين بها"[57].

وعلاوة على تقاضي المدرسين والمقرئين مرتباتهم من مداخيل الأوقاف، فإن بعضهم كانوا يحصلون على مكافآت وهدايا حسب مراكزهم وكفاءاتهم العلمية صرفت لهم من مال الأوقاف أيضا بأمر من السلطان المريني الذي يرشح كل مدرس لرتبة معينة، ويتسلم مبلغا ماليا على قدر درجته[58].

وبالمثل، استفاد خطباء المسجد الواقع بالمدرسة أو بجوارها من مداخيل الأوقاف لأن المسجد اعتبر جزءا لا يتجزأ من المنظومة التربوية، حتى أنه كان يصعب أحيانا التمييز بين وظيفة التدريس ووظيفة الخطابة في المسجد، وحسبنا دليلا على ذلك أن خطيب جامع القرويين أبو الفضل المزدعي (ت 748هـ/1348م) كان يجمع بين وظيفة الخطابة في المسجد والتدريس في المدرسة المصباحية التي عرضنا لها سلفا[59].

بيد أن فئة الطلبة كانت أكثر الفئات المستفيدة من أموال الأوقاف، وحسبنا أن تأسيس المدارس وتمويلها بتلك المداخيل كان "إرفاقا لطلبة العلم وإعانة لهم على طلبه"[60]، وهو ما شكل تحولا جذريا في المسار العلمي للطلبة، خاصة أولئك الذين كانوا يعانون من قلة الإمكانيات المادية التي تحول دون إتمام دراستهم. وكانت الأولوية تعطى للطلبة الغرباء، خاصة الطالب الذي "له شروع في تعلم

العلم ودرسه وتردد إلى أهله"[61]. لقد مكّن الوقف العلمي الموقوف على المدارس الطلبة الفقراء والوافدين من البوادي من متابعة دراستهم في المدن الكبرى كمدينة فاس وغيرها بحيث تم توفير السكن لهم، كما استفادوا من المأكل والملبس ومن الكتب الدراسية بالمجان، لمدة تتراوح بين سبع وعشر سنوات، ؛ بل إن أوجه الإنفاق من أموال الوقف العلمي وصلت إلى حدّ تخصيص رواتب للطلبة[62] تشبه ما يعرف حاليا المنح الدراسية، "ولهم أن يتصرفوا في المرتب بما شاءوا"[63].

غير أن المنح الدراسية المصروفة للطلبة من مداخيل وقف المدارس كانت تعلق أو تحذف نهائيا في حالتين:

- أولاهما : أثناء الاضطرابات السياسية كما وقع في عهد أبي سعيد عثمان الثالث (800- 823هـ) عندما "خرب عدد كثير من الأملاك والبساتين التي كانت محصولاتها مخصصة لهذا الغرض...ولم يبق بها اليوم سوى دخل بسيط يمكن الاحتفاظ بالأساتذة الذين يتقاضى بعضهم مائتي مثقال"[64].

- أما الحالة الثانية التي يحرم فيها الطالب من الاستفادة من المنحة الدراسية المخصصة له من مال أوفاف المدرسة، فتطبق عند فشله الدراسي حين يبقى عشرة أعوام دون أن يظهر نجابته وقدرته على مسايرة الدروس، لأن ذلك "يعطل الحبس"[65]، مما ينهض قرينة على أن الهدف البعيد من الوقف العلمي هو تكوين أجيال العلماء وتأمين المستقبل العلمي للمجتمع.

وتشير نوازل فقهاء الفترة مدار البحث أن ثمة شروط أخرى كان على الطلبة الراغبين في تغطية نفقاتهم الخاصة بالسكن داخل المدارس من مال الوقف الالتزام بها، ومنها أن يكون عمر الطالب لا يقلّ عن العشرين سنة، وأن لا يتفرغ للعبادة فحسب، بل عليه أن يجمع بين العبادة وطلب العلم،وأن يلازم حضور قراءة الحزب في الفجر والمغرب، فضلا عن القيام بالوظيفة المشروطة عليه[66].

من جهة أخرى، سمح الوقف العلمي بظهور وظائف دينية لعدد لا يستهان به من العلماء والفقهاء. كما سمح بتوفير فرص عمل لعدد من المستخدمين داخل المدارس ومرافقتها كالوقادين والمقدمين والمؤذنين والكناسين وغيرهم[67].

وعلى العموم فإن جل مكونات المدرسة من مدرسين وطلبة ومسيرين وقوامين استفادوا جميعا من مداخيل الأحباس لصرف مرتباتهم، أما ما فضل منها فكان يوظف لتوفير البنية التحتية للمدارس، وإصلاح ما تلف منها، أو تعرض لنوائب الدهر. لكن قد يحدث في بعض الفترات أن تضيق موارد الأوقاف فتحصل أزمة في كيفية الإنفاق على المستفيدين منها، وهو أمر أثارته النصوص النوازلية

وتصدت لمعالجته بإعطاء الأولوية للقائمين على المدرسة لما يترتب عن تعطيل عملهم في صيانتها من خرابها.[68]

4- وقف الكتب على مكتبات المدارس: كان وقف الكتب على مكتبات المدارس لإفادة طلاب العلم ظاهرة مألوفة في المجتمع المغربي خلال العصر الوسيط برمته. ويرجع الفضل في تأسيس أول خزانة كتب لطلب العلم في المغرب إلى أبي الحسن الشاري ( ت658هـ/1251م) الذي أنشأ أول مدرسة في سبتة سنة 635هـ/1238م رغم تحفظ أحج الباحثين[69] عن فكرة أولوية هذه المدرسة في مسار تاريخ المدارس، إلا أن ما يهمنا هو أن أبا الحسن الشاري المذكور "حبّس عليها جملة وافرة من كتب العلم"[70]. ومن نافلة القول أن الدولة المرينية التي رعت العلماء، وحرصت على تشجيع الحركة العلمية، انخرطت في هذا المشروع العلمي حتى أن عصرها اقترن بالفترة الذهبية لتحبيس الكتب لفائدة طلاب العلم.

ولدينا العديد من القرائن حول دور الطبقة الحاكمة في تشجيع هذا المسار الذي يجعل الكتب محبسة تحبيسا أبديا لصالح القراء ؛ ولاغرو فإن السلطان المريني يعقوب بن عبد الحق قرّر تزويد مدرسته التي أنشأها شرق جامع القرويين بمكتبة محترمة أوقف عليها ثلاثة عشر حملا من المخطوطات التي جلبها من الأندلس إثر مفاوضات جرت بينه وبين ملك إشبيلية سانشو (683-694هـ/1284-1295م). وحوت هذه المخطوطات جملة من الكتب منها القرآن الكريم وتفسيره لابن عطية والثعالبي، كما ضمت كتب الحديث وشروحها كالتهذيب والاستذكار وكتب الأصول والفروع واللغة العربية وغيرها "حبّسها على طلبة العلم بالمدرسة التي بناها"[71].

وعلى نفس المنوال سار السلطان المريني أبو الحسن الذي حبّس على المدارس "أعلاق الكتب النفيسة والمصنفات المفيدة"[72]، وهو نص يدل على كثرة الكتب المحبسة، وعلى جودة نوعيتها وفائدتها العلمية لصالح طلاب العلم.

وتنص وثيقة التحبيس على إحدى مكتبات فاس التي شيّدها السلطان المريني أبو عنان سنة 750هـ/1350م، أنه "جعلها وقفا مؤبدا لجميع المسلمين، "حضا منه على طلب العلم وإظهاره وارتقائه واشتهاره، وتسهيلا لمن يريد القراءة والنسخ منها والمطالعة والمقابلة"[73]. وهو نص يشي بارتباط هدف تحبيس الكتب بنشر الثقافة وتطوير وتنمية المعارف، وتسهيل مأمورية القراء للإطلاع على ذخائر العلوم، والمساهمة في ترويجها ونشرها عن طريق القراءة والنسخ والمقارنة بين الكتب، وهي مناهج أثبت العلم المعاصر أهميتها في التثقيف والتمكين للتواصل ونشر الأفكار وتبادلها.

ولم يدخر السلطان أبو عنان فارس وسعا في تأسيس خزانة أخرى بمدرسته الكائنة بالطالعة الكبرى بفاس، ووقف جملة وافرة من الكتب النفيسة عليها[74]. وتقوم إحدى الوقفيات الخاصة بجامع القرويين شاهدا على وقف أبي عنان المريني مكتبة على خزانة القرويين وقفا مؤبدا ينتفع به طلاب العلم[75]. كما تتضمن وقفيات أخرى تحبيسه كتاب بغاية الوصول المتكون من سفرين وشرح لابن جلاب[76].

وبصفة عامة، فإن حركة وقف الكتب على المكتبات والخزائن شكلت معلمة واضحة في مسار الحركة الثقافية بالمغرب خلال العصر المريني، إذ شاعت عملية تحبيس الكتب، وتنافس فيها الحكام والنخبة العالمة بما فيهم ابن خلدون الذي حبس كتاب المقدمة على خزانة القرويين[77]. كما لا نعدم وقف عامة الناس كتبهم على طلاب المدارس[78]. وفيما يلي جدول عبارة عن نموذج لبعض المخطوطات المحبسة على مكتبات وخزائن مدارس وجوامع مدينة فاس.

لائحة بنماذج من المخطوطات الموقوفة على مكتبات المدارس والجوامع بمدينة فاس:

| المخطوط | مؤلفه | المحبس | المؤسسة المحبس عليها | مكان المخطوط ورقمه |
|---|---|---|---|---|
| التبصرة وهو تعليق على المدونة | اللخمي أبو الحسن علي بن محمد الربيعي المتوفي في سنة 498هـ /1105م | أبو الحسن المريني | مدرسة الصهريج | خ. ق رقم 367. |
| مفاتيح الغيب | الرازي محمد المتوفي 606هـ | أبو الحسن المريني | مدرسة الصهريج | خ. ق.رقم 10. |
| التقييد على تهذيب البرادعي | الزرويلي أبو الحسن علي الصغير ( 719هـ) | محمد بن مسعود المسفيوي | مدرسة الصهريج | خ.ق. رقم 373. |
| جامع أحكام القرآن لما تضمنته السنة وآيات القرآن | القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن ابي بكر بن فرج الأنصاري ( 671هـ) | أبو الحسن المريني | المدرسة المصباحية | خ.ق. رقم 12 |
| كتاب التفريع مختصر في فروع المالكية | ابن الجلاب عبيد الله بن الحسين ( 378هـ) | أبو عنان فارس | خزانة جامع القرويين | خ.ق. رقم 337 |
| البيان والتحصيل | ابن رشد ابو الوليد المتوفي سنة 520هـ | أبو عنان فارس | خزانة جامع القرويين | خ.ق. رقم 228 |
| اللآلي الفريدة في شرح القصيدة | الفاسي أبو محمد بن حسن بن محمد ( ت 672هـ/1273م) | أبو عنان المريني | خزانة جامع القرويين | خ.ق. رقم 228 |

**لائحة بنماذج من المخطوطات المحبسة على مكتبات المدارس والجوامع بمدينة فاس (تابع):**

| المخطوط | مؤلـــــــفه | المحبس | المؤسسة المحبس عليها | مكان المخطوط ورقمه |
|---|---|---|---|---|
| مشارق الأنوار | القاضي عياض السبتي (ت544هـ /1150م) | أبو عنان فارس | مدرسة جامع المنصور بمراكش | خزانة ابن يوسف بمراكش رقم 248. |
| المدونة | سحنون عبد السلام بن سعيد بن حبيب (ت 240هـ / 855م) | أبو عبد الله محمد الطريفي | مسجد للا غريبة بالمدينة البيضاء | خ.ق. رقم 574 |
| الجامع الصحيح المسند | البخاري أبو عبد الله محمد ابن اسماعيل (ت256هـ/871م) | عبد الحق بن سعيد المريني | خزانة جامع القرويين | خ.ق.رقم 94 |
| كتاب التقييد عن تهذيب البراذعي | الزرويلي أبو الحسن علي المعروف بالصغير (ت719هـ/319م) | أبو زكريا يحي الوطاسي | خزانة جامع القرويين | خ.ق. رقم 327 |
| الكتاب الجامع لمسائل المدونة | ابن يوسف أبو بكر محمد ابن عبد الله الصقلي | أبو العباس أحمد المريني | خزانة غرب جامع الأندلس | خ.ق، رقم 1127 |
| المنتقى | الباجي أبو الوليد سليمان بن خلف ابن سعد الأندلسي (ت494هـ /1102م) | أبو عبد الله محمد الطريفي | خزانة جامع للاغريبة | خ.ق. رقم 172 |
| جامع الأصول في أحاديث الرسول | ابن الأثير (ت606هـ /1210م) | أبو العباس أحمد ابن مرزوق | خزانة غربي جامع الأندلس | خ.ق. رقم 216 |
| البيان والتحصيل والشرح والتوحيد والتعليل. | ابن رشد أبو الوليد محمد ابن أحمد الجد المولود سنة 405هـ والمتوفي سنة 520هـ | أبو سعيد الثالث سنة 817هـ/1415م | خ.ح. القرويين | خ.ق. رقم :329 |
| التنبيهات المستنبطة في شرح مشكلات المدونة والمختلطة | القاضي عياض أبو الفضل (ت544هـ/1149م) | أبو زيد عبد الرحمن ابن جالينوس | خ.ح.القرويين | خ.ق. رقم 336 |
| كتاب التفريع مختصر في فروع المالكية | ابن الجلاب عبيد الله بن الحسين أبو القاسم (ت378هـ /988م) | أبو عنان فارس | خ.ح، القرويين | خ.ق. رقم 337 |
| النوادر والزيادات على ما في المدونة وغيرها من الأمهات | ابن أبي زيد القيرواني (ت386هـ/996م) | الطالب ابراهيم موسى التسولي سنة 793 هـ. | خ.ح، الأندلس | خ.ق. رقم 338 |

**خ.ق = خزانة القرويين**

**من حصاد هذه الدراسة يتبين مدى الدور الكبير الذي لعبه الوقف العلمي في تأسيس المـــدارس بمدينة فاس خلال العصر المريني ورعايتها والسهر على تسييرها بعائدات مال الوقف الذي توفر بفضل الممتلكات التي أوقفها السلاطين المرينيون وغيرهم، وهو ما شكل انطلاقة لنهضة علمية جعلــت هـــذه المدارس تشرع أبوابها لطلاب العلم من كل صوب وجدب، وتساهم في تنمية ثقافية خففت من حـــدة**

**التفاوت الثقافي بين المدن والبوادي بما وفرته للطلبة من مسكن ومعاش وملبس، فضلا عن توفير ظروف جيدة ومواتية للتعليم. وزادت من رفع إيقاع النهضة العلمية عن طريق فطاحل العلماء الذين تخرجـــوا من رحاب هذه المدارس الوقفية.**

**ملاحق البحث: الحولات الحبسية في العصر المريني حسب ما نشرها "ألفرد بل"**

**Inscriptions arabes de Fes, Journal Asiatique (no 10, année 1917- no 12 année 1918**

**حوالة أحباس مدرستي الصهريج والسبعيين:**

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين. أمر ببناء هذه المدرسة المباركة مع المدرسة الصغرى المتصلة بشرقها مولانا الأمير ولي عهد المسلمين أبو الحسن ابن مولانا الملك الأعدل أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين أبي يوسف بن عبد الحق أعلى الله أمره وخلد بالعمل الصالح ذكره وأخلص لله تعالى في عمل البر سره وجهره وحبسهما على طلبة العلم الشريف وتدريسه وأمر مع ذلك ببناء دار أبي حباسة للشيوخ الملازمين للصلوات بجامع الأندلس وحبس على المدرستين المذكورتين والدار المذكورة من الجنات بخارج باب الجديد جنان ابن شراط وجنان ابن العطمير وجنان ابن أبي زيد بن علي وجنان تميم وجنان الولجة المجلوب منه ماء المدرستين وعرصة المرسى مع عرصة الحدودي بغدير حسن وحظ من جنان ابن رينق خارج باب بني مسافر. ومن بيوت الأرحا اثنين بغدير حسن والثالث بغدير الجوزا والرابع بالعيون والخامس بزقاق شيء مليح والسادس أسفل حمام الزليج مع النصف في رحا متصل بعرصة ابن سكاك مع قاعة بيت الأرحا الكبير بأبي طوبة وثلث أنقاضه وثلثان حبسهما على المدرسة بتازي، ومن الحوانيت سبعا بدرب ابن صافي وأربعا بعدوة الأندلس وواحدة باللبادين وحظا بحانوت بالعطارين. ومن سائر الربع فندق ابن خنوسة ودارا ومصرية بدرب ابن صافي ومصرية باللبادين ومصرية الحاج القراق عند المسجد خمس ذلك كله للدار المذكورة وسائره للمدرستين. وحبس أيده الله على المدرستين خاصا بهما حمام الزليج والحوانيت الثلاث المتصلة به وربع الرصيف المشتمل على أربعة وأربعين حانوتا والأطرزة المحملة عليها ودارين لابنة قشاشة وحظا من دار ابن سلام الجديدة والدويرة التي له بمقربة منها تحبّسا مؤبدا دائما مخلدا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين. أراد بذلك وجه الله العظيم وثوابه الجزيل الجسيم والله لا يضيع أجر من أحسن عملا ولا يخيب له في هذا المقصد السني أملا. من سعى في تبديله أو تغييره أو إخلال بشيء منه فالله حسيبه وسائله وولي الانتقام منه وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون، وكمل بناء هذه المدرسة وابتدي الإقراء فيها في شهر ربيع الأول من عام ثلاثة وعشرين وسبعمائة.

**حوالة أحباس مدرسة العطارين:**

الحمد لله رب العالمين رافع درجات العالمين ومجزل ثواب العالمين حمدا يكون كفاء لآلائه وأداء لواجب شكر نعمائه متصلا إلى يوم الدين والصلاة على سيدنا ومولانا محمد. وبعد، فهذا ما حبس وأمر بتخطيطه وإنشائه مولانا الإمام أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين واسطة سلك ملوك بني مرين أبو سعيد ابن مولانا الإمام أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق، جعلهم الله من أئمة المتقين برسم المدرسة التي أتم بناءها في عام خمسة وعشرين

وسبعمائة وهي المقابلة لسماط العطارين من فاس القرويين. فمن ذلك ثلاثة عشر حانوتا متصلة بباب الفرج ومن ذلك دار الصابون مع الحوانيت الثلاثة المخرجة منها بالشراطين والدار والمصرية والأربع حوانيت باللجوطية وأربع حوانيت بعين علون وهي التي أعلاها مستأجر للحبس المذكور وأربع حوانيت مع الطراز المحمل عليهم بعين الصليتن وثلاث حوانيت مع المصرية المحملة عليهم بالصفارين القدما وسبع أثمان فندق الحدودي مع الأربع حوانيت المخرجة منه بالدرب الطويل وتربيعة ابن.....بالبليدة والحانوت الرابعة بالعطارين عن يمين المار من المدرسة والحانوت الثانية عن يمين الخارج من القطانين للعشابين والحانوت بالسبطريين وهي الأولى عن يسار الخارج من فندق الزيت والحانوت الثالثة عن يسار الخارج من الجزارين وبيت ارحى مصالة بشيبوبة والحجر الثاني مع القاعة المتصلة به ونصف شايع بقاعة الزرع بالبيت الموالي لحمام الزيات والفرن بجرنز ودار تلاصق دار أمن الله ومصرية بعين الخيل محملة على الصابة ونصف فندق الرضاع شرق جامع القرويين.

حوالة أحباس المدرسة المصباحية:

الحمد لله رب العالمين رافع درجات العالمين ومجزل ثواب العاملين المحي بالمدارس ما درس من معالم العلم والدين على يدي من اختصه بهدايته وشرفه بعنايته وولايته من عباده المحسنين حمدا يكون كفاء لآلائه وأداء لواجب شكر نعمائه متصلا إلى يوم الدين والصلاة التامة وأفضل التسليم على سيدنا ونبينا محمد خاتم النبيئين وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين. وبعد، فهذا ما أمر بتخطيطه وإنشائه دفعا وردعا لأيدي المعتدين مولانا الخليفة الإمام المجاهد في سبيل الله المؤيد بحزب الله أبو الحسن علي ابن مولانا أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين أبو سعيد ابن مولانا أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق قاصدا بذلك وجه الله العظيم وثوابه الجسيم والدار الآخرة والله لا يضيع أجر المحسنين لوجهه الكريم نفعه الله به يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم. فمن ذلك الحانوت الثانية عشر عن يمين المنعطف من زنقة الديوان إلى سماط العطارين، ومن ذلك جميع الثلاثة عشر حانوتا المصطفة على قنط القفاصين، ومن ذلك جميع الدار الكبرى الكائنة بالقلعة أمام السجن وتعرف بدار العفايري ومن ذلك جميع الثلاثة ديار الكائنة برياض جحى مع قاعة متصلة بهم وهم متصلين بعضهم ببعض. ومن ذلك جميع الثلاثة لأرباع في دار باجرف ومن ذلك خمسة أثمان بفندق الرضاع شرقي الجامع الأعظم. ومن ذلك أربعة أسباع بجنان بحمام الرياض ويتصل بالمسجد الذي هناك، ومن ذلك جنان بخارج باب الفتوح، ويعرف بأبي الأولاد، ومن ذلك الثلث في المدشر المعروف بقلعة كباب. ومن ذلك زوج دويرات بالمدينة البيضاء. ومن ذلك جميع مدشر الحاجة وبعض من أرض تاجمة والولجة والسقي لتاجمة المذكورة. ومن ذلك ما وجب بالمحاصة في مترل الحاجب ومدشر لبني واريتن وذلك خمسمائة سهم وخمسة وأربعون سهمما وسدس سهم من ثلاثة آلاف سهم وثلاثة مائة سهم واثني عشر سهما وثمن وخمسة أسداس الثمن، وذلك كله المسمى باسم الخطيب أبي الفضل المزدغي. حبس ذلك كله وخلده تحبيسا دائما وتخليدا مؤبدا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين أراد بذلك وجه الله العظيم وثوابه الجسيم والله لا يضيع أجر المحسنين فمن بدله وغيره وأخل بشيء منه فإن الله حسيبه وسائله وولي الانتقام منه وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

وكان الفراغ من بناء المدرسة المذكورة وبناء القبة التي بها والبيوت المتصلة بالقبة المذكورة وفرشها بالرخام في عام سبعة وأربعين وسبعمائة، ورسم هذا كله هنا حسبما أمر به مولانا أيده الله تعالى ونصره وخلد في الخيرات والصالحات ذكره بمنه وكرمه.

**حوالة أحباس المدرسة المتوكلية (البوعنانية):**

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وسلم. أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة السنية المسماة بالمتوكلية المؤسسة على تقوى من الله ورضوان المعدة لتدريس العلم وإقراء القرآن المفضلة بإقامة فرض الجمعة المخصوصة بالمرافق الشاملة والمحاسن المستبدعة مولانا الخليفة الإمام حسنة الأيام وناصر الإسلام المجاهد في سبيل الله المظفر بمعونة الله العالم العامل الصالح العادل القانت الأواب صاحب الحرب والمحراب أمير المؤمنين المجاهد في سبيل رب العالمين المتوكل على الله أبو عنان فارس ابن مولانا الإمام العادل الفاضل الكامل الأروع الأخشى لله الأخشع أميرالمسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين أبي سعيد ابن مولانا الإمام الطاهر المؤيد الظاهر جواد الأجواد وأسد الأساد أمير المسلمين وناصر الدين المجاهد في سبيل رب العالمين أبي سعيد ابن مولانا الإمام العابد القانت الزاهد الذي أعز الإسلام جهاده المبرور وكرم في سبيل الله أثر اجتهاده المأثور أمير المسلمين وناصر الدين المجاهد في سبيل رب العالمين أبي يوسف بن عبد الحق وصلى الله تعالى لمقامه العلي أسباب التأييد والتمكين وسنا له النصر العزيز والفتح المبين وجعل الخلافة كلمة باقية في عقبه إلى يوم الدين وجزاه عن الإسلام والمسلمين أفضل جزاء المحسنين قصد أيده الله تعالى ببنائها وجه الله تعالى في إحياء رسوم العلوم وتجديد العناية بالمنقول والمفهوم ابتغاء حسن الثواب على تخليد أعمال البر وإجراء الصدقات الباقية بقاء الدهر والله تعالى ولي المثوبة ومجزل الأجر حبس أيده الله على هذه المدرسة إرفاقا لطلبة العلم وإرفادا وإعانة لهم على طلبه وإسعادا جميع ما ينقسم من الربع وذلك الحمام المعروف بحمام الشطارة والدويرة المتصلة من حقوقه بأعلى حلق النعام قبلي المدرسة المباركة والرحا المتصلة بالمدرسة من جهة الشرق والرحا الثانية المعروفة برحا الحطابين التي بها معدة الماء المجلوب منها الماء إلى المدرسة ودار الوضوء بها، والفرن الذي بالزنقة الفاصلة بينه وبين المدرسة والروان اثنان أحدهما بالزنقة جنب الفرن، وتتصل بالحوانيت الجدد المحبسة على المدرسة والآخر بزنقة ابن نوار وتتصل بالحوانيت الجدد المحبسة على المدرسة والآخر بزنقة ابن نوار وتتصل بدار الوضوء المذكورة وأربع وسبعون حانوتا كلها بالقرب من المدرسة بحقوق ذلك كله ومنافعه أجمعها ليصرف فوائده في إصلاح المدرسة ومرتبات المقريين والطلبة والقومين بها تحبيسا تاما ثابت الحكم لا تبديل لرسمه إن شاء الله تعالى. وكان ابتداء بنائها في الثامن والعشرين لشهر رمضان المعظم عام أحد وخمسين وسبعمائة والفراغ منه في آخر شعبان المكرم عام ستة وخمسين وسبعمائة. وكان بناؤها على يدي الناظر في الحبس بحضرة فاس حرسها الله تعالى أبي الحسين ابن أحمد بن الأشقر وفقه الله تعالى والحمد لله كثيرا وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد ورسوله الكريم وعلى آله وسلم.

**حوالة مدرسة المدينة البيضاء (فاس الجديد):**

الحمد لله رب العالمين رافع درجات العالمين ومجزل ثواب العالمين المحيي بالمدارس ما درس من معلم العلم والدين على يدي من اختصه بهدايته وشرفه بعنايته وولايته من عباده المحسنين حمدا يكون كفاء لآلائه وأداء لواجب شكر نعمائه متصلا إلى يوم الدين، والصلاة التامة وأفضل تسليم على سيدنا ونبينا محمد خاتم النبيين وعلى آله وأصحابه الطيبين

الطاهرين. وبعد فهذا ما أمر بتخطيطه وإنشائه دفعا وردعا لأيدي المعتدين مولانا الخليفة الإمام العادل الهمام السيد الأعظم الملاذ الأعصم الطاهر الأنقى الظاهر الأرقى الممتثل الأخشع القانت، الأروع المجاهد في سبيل الله المؤيد بحزب الله أبو الحسن علي واسطة سلك ملوك بني مرين ابن مولانا الخليفة الإمام أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق جعلهم الله من الأئمة المتقين، وجمع لهم مدخري الدنيا والذين خلدوا به خلدا لله ملكهم وجعل البسيطة ملكهم حكم ما كان والدهم مولانا الخليفة الإمام المحسن الأرضي المطهر المرحوم أبو سعيد نور الله ثراه وكرم مثواه ذخره من أفعال البر في أيامه الخالية وأسلفه وفي أعماله الصالحة لربه سبحانه أزلفه، وعلى إقراء القرآن العظيم وتدريس العلم بمدرسته المباركة هذه، أوقفه وهي مدرستهم الكائنة بدار ملكهم الشامخ ومقر عزهم الراسخ المدينة البيضا المنيرة الغرا زادها الله عزا ومجدا وصعودا على البقاع وسعدا بمنه. فمن ذلك مدشر أبي زيد من حوز فاس وعلى مقربة راس الماء المشتمل على خمس وثلاثين أثرة منها أثرتان كانتا للمولاة الحرة المقدسة المرحومة المطهرة أم مولانا أبي الحسن نور الله ضريحها وقدس روحها ثم يصدق بهما عنها بعد وفاتها رحمة الله عليها ولدها مولانا أبو الحسن على المدرسة المذكورة تتميما لجميع المجشر أتم الله له نعماه ووالى عليه طوله وولاه، ومن ذلك بمدينة فاس حرسها الله تعالى حمام السلطان الكائن بالخراطين وعلى قرب من مسجد الشرفاء وحمام الدرب الطويل الكائن بأقصى الدرب المذكور وأعلى الحمامين المذكورين بالاستئجار مساهمة لثلاث مصار اثنتان بأعلى حمام السلطان وواحدة بأعلى حمام الدرب الطويل وستة عشر حانوتا محملة على وادي اللجوطية وهي عن يسار الداخل إلى الجوطية في الطريق الثاني من فم عين علون، وسبعة أثمان في فندق درب الغربا الكائن بجرنة، وبين الأرحا الكائن بوادي قميمة المشتمل على حجرين اثنين. ومن ذلك بالمدينة البيضاء حاطها الله تعالى الكوشة الكبرى والحانوتان المتصلان بها من ناحية الجوف، وأعلى جميع ذلك لخدمة الكوشة المذكورة وحانوت عن يمين الخارج من باب المدرسة القبلي حبسوا ذلك كله وخلدوه تحبيسا دائما وتخليدا مؤبدا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين، أرادوا بذلك وجه الله العظيم وثوابه الجسيم والله لا يضيع أجر المحسنين ولا يخيب سعي العاملين. فمن بدله أو غيره أو أخل بشيء منه فإن الله حسبه وسائله وولي الانتقام منه، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون. وكمل بناء هذه المدرسة المباركة وبدئ بالإقراء فيها وسكناها في ذي القعدة عام أحد وعشرين وسبعمائة.

**الهوامش:**

1- الجرجاني، علي بن محمد، كتاب التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت 1986، ص 174.

2- الفيروزآبادي، القاموس المحيط، دار الفكر، بيروت 1983، ج1 ص375، ومادة "حبس" ج2 ص205-206/ الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مصطفى حجازي، الكويت، 1987، ج24 ص467/ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت 1956، ج9، ص 289.

3- الطرابلسي، إبراهيم بن موسى، الإسعاف في أحكام الأوقاف، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة 1406 هـ، ص 7.

4- النووي، تحرير ألفاظ التنبيه، تحقيق عبد الغني الدقر، دار القلم، دمشق 1408 هـ، ج1، ص 237.

5- انظر المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، تخريج مجموعة من الأساتذة، دار الغرب الإسلامي، الرباط 1981، ج7، ص 5 وما بعدها.

6- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة الرباط 1972، ص 54-55.

7- الجزنائي ، جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، المطبعة الملكية ، الرباط 1967، ص 79.

8- معظم النصوص تتعلق بالوقف على الأفراد وليس على بناء المدارس. انظر على سبيل المثال: الونشريسي، م.س، ج7، ص 188.

9-مقدمة ابن خلدون، دار القلم (ط6)، بيروت 1986، ص 437.

10-عبد الهادي التازي، جامع القرويين، دار الكتاب اللبناني (ط1)، بيروت 1973، ج2، ص 456. وانظر ايضا:

Shatzmeiler (M), Les premiers Merinides et le milieu religieux de Fès, introduction des Medrasas, Studia Islamica, Tome XLIII, p 116

11-Brignon et autres, Histoire du Maroc, ed.Librarie nationale , Casablanca 1967, p 156

12- لمليح السعيد، المدارس المرينية ودورها الفكري في المغرب، رسالة جامعية مرقونة، نوقشت بكلية الآداب بفاس سنة 1989، ص 201.

13- كل الحوالات الحبسية تستعمل هذا التعبير أو ما شابهه من الصيغ.---14- انظر الحوالة الحبسية الواردة في ملاحق هذه الدراسة، ص 25.

15- وردت هذه الصيغة في حوالة أحباس المدرسة المتوكلية ( البوعنانية). انظر الملحق الوارد في نهاية هذه الدراسة ص 24.

16- سورة، آية----- 17- الحوالة الحبسية الخاصة بمدرسة المدينة البيضاء، منشورة في

: BEL(A), Inscription arabes de Fes, J.A, 1917- 1919, Paris 1919, p 159.

18- انظر النص في الحوالة الحبسية الخاصة بالمدينة البيضاء ( فاس الجديد ) الواردة في ملاحق الدراسة، ص 25.

19- BEL (A), op.cit, p.224 ـــ221

20- Ibid, p 265 ـــ 264 .

21- انظر بقية أسماء العائلات الفاسية في الحوالة الحبسية الخاصة بمدرستي الصهريج والسبعيين الواردة في ملاحق هذه الدراسة، ص.22

22- ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، ص 93ـــ 94 .

23- لمليح السعيد، م، س، ص202.-------24- الأنيس المطرب...م.س، ص 411 ـــ 412.

24- Inscriptions… , op.cit,.p 222.

25- الأنيس المطرب...م.س، ص 412.

.26-Inscriptions… , op.cit, , p 197

28- انظر حوالة أحباس مدرسة العطارين الواردة في ملاحق الدراسة ص 23.

29- ابن أبي زرع، م. س، ص 412- 413--- 30- عبد الهادي التازي، جامع القرويين...م.س، ج2، ص 358.

31- المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن، تحقيق.ماريا خيسوس فيغيرا، الجزائر 1981، ص 406.

32- Inscriptions arabes de Fes. J.A IX , sep –Oct 1918 , p 262.

33- ابن الأحمر، بيوتات فاس الكبرى، تحقيق عبد الوهاب بنمنصور، دار المنصور للطباعة والنشر، الرباط 1972، ص 64.

.34- Inscriptions…, op.cit , p 363-364

35- انظر حوالة أحباس المدرسة المتوكلية ( البوعنانية ) الواردة في ملاحق البحث ص 24.

36- وصف افريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الرباط 1980، ج1 ص 179.

37- لمليح السعيد، م، س، ص.150

.38- Inscriptions… op.cit, p 364-365

39- حوالة أحباس مدرسة المدينة البيضاء الواردة في ملاحق الدراسة ص 25، ونجد نفس الصيغة في الحوالات الحبسية الأخرى.

40- الونشريسي، م.س، ج7، ص 92----- 41- انظر حوالة أحباس مدرسة العطارين الواردة في ملاحق هذه الدراسة ص 23 .

42- الأنيس المطرب...م.س ص 413 .

43- محمد حجي، (( المؤسسات الدينية في المغرب ))، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط،عدد 18، سنة 1980، ص 125.

.44- Inscriptions , op-cit , p 367-368

45- ابن أبي زرع، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة، الرباط 0972، ص 162-163.

46- عبد الهادي التازي، م.س، ج2، ص 439.

47- الكتاني ماضي القرويين، مخطوط الخزانة العامة للوثائق والمخطوطات بالرباط رقم د 2929 ، ص 24

48- نفسه، ص 140-141----- 49- الونشريسي، م.س، ص145، 302 .

50- نفسه، ج7، ص 264.----- 51- الحسن الوزان، م، س،ج1، ص 179.

52- نفس المصدر والصفحة.----- 53- انظر عن هذه الزخارف والفنون والنقوش الإبداعية نفس المصدر ص 178.

54- لمليح السعيد، م، س، ص 198.- - - 55- الونشريسي، م.س، ج7، ص 294

56- انظر نفس المصدر، م.س، ج7، 363.- - - 57- أنظر حوالة أحباس المدرسة المتوكلية الواردة في ملاحق الدراسة ص 24.

58- عبد الهادي التازي، م، س، ص 438.- - - 59- أنظر الحوالة الحبسية للمدرسة المصباحية الواردة في ملاحق الدراسة ص 23.

60- أنظر الحوالة الحبسية للمدرسة المتوكلية. الواردة في ملاحق الدراسة ص 24

61- الونشريسي، م.س، ج7، ص 264 – 265.- - - - - 62- ابن أبي زرع، م، س، ص 411ـــ 413.

63- نفسه، ص 264.- - - - - 64- الحسن الوزان، م، س، ج1، ص 179.

65- الونشريسي، م، س، ج7، ص 262.- - - - - - 66- نفسه، ص 294، 362- 363

67- ابن ابي زرع، م. س، ص 413 ـــ الونشريسي، م، س، ج7، ص 363.

68- الونشريسي، م.س، ج7، ص 17، 18، 363، 364، 367، 368. انظر التفاصيل عند : حسين سيد مراد، الأوقاف مصدرا لدراسة مجتمع فاس في العصر المريني، الزهراء كمبيو سنتر ـــ مصر 2002 ص102- 103

69- حسين سيد مراد، م.س، ص 109

70- محمد العابد الفاسي، فهرست مخطوطات خزانة القرويين، دار الكتاب، البيضاء،1979، ج1، ص 22 - 23.

71- ابن أبي زرع، م.س، ص 363.- - - - - 72- ابن مرزوق، م.س، ص 407.

73- الجزنائي، م.س، ص 76.- - - - - 74- محمد العابد الفاسي، الخزانة العلمية بالمغرب، مطبعة الرسالة، الرباط 1960، ص 18.

75- انظر نص الوقفية التي نشرها المرحوم محمد المنوني في بحثه : نماذج من أنظمة الخزانات العمومية بالمغرب الوسيط ))، المجلة التاريخية المغاربية، عدد 61-62، السنة 18، يوليوز 1991، ص 146.

76- محمد عابد الفاسي، الخزانة العلمية.....م.س، ص 29.

77- احمد شوقي بينبين، ظاهرة وقف الكتب في تاريخ الخزانة المغربية ن مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، ج3، مجلد63، يوليوز 1988، وكذلك :

**Povençal (L), Notes sur l'exemplaire du Kitab Al-Ibar offert par Ibn Khaldun à la bibliothèque d'al-Karawin à Fès. Journal Asiatique, Tome CCIII, Pris 1923**

78- الونشريسي، م.س ،ج7 ص 340.